المجمع **12** (1438/2017)، 61-74

الخطاب الثَّقافي: الأصالة والمُعاصرة

رانية شحادة رشيد سعيفان*

تلخيص:

انشغل المُتحدِّثون باللُّغة العربيَّة اليوم في حِواراتهم بالتَّعرُّف إلى مُصطلحاتٍ، ومفاهيمَ دخيلة، بدلًا من تعميق الصّلةِ باللُّغة القوميَّة التي يرتبطون بها بعقولِهم وعواطِفهم، ويشهدُ المثقَّفون على هذا الأمر بأنفسهم؛ إذ إنَّ خطاباتِهم في قراءة واقعِهم تحفلُ بمفرداتِ الفشل والإحباط والاستلاب؛ بتأثير العولمةِ الثَّقافيَّةِ اللُّغويَّةِ، فتحوَّلت المُمارسات الثّقافيَّة واللُّغويَّة إلى سلع مُتداولة، في الأفعال التَّعبيريَّة والأنماط الخطابيَّة.

ويتحدَّدُ اهتمامُ هذا البحث في النَّظرِ إلى التَّحديات الثَّقافيَّة التي تُواجه اللُّغة في خطاباتها وانتشارها، واستعمالاتِها داخل البلاد العربيَّة وخارجها، بين أصالة تُراث الأمَّة عبر القُرون الماضية؛ حيث العلاقة وثيقة بين اللُّغة وبين حياة أصحابها، وبين هيمنةِ العولمةِ الثَّقافيَّة على اللُّغة في المُمارسات التَّعبيريَّة والخطابات الشَّائعة في وسائل الإعلام بأشكالها المُختلفة.

وسينتظم البحث في المحاور الآتية:

- أصالةُ تُراث الأُمّة العربيّة في لُغتها، وهُويَّتها.
- الخطابُ الثَّقافي والتّقانة.
- الخطابُ الثَّقافي والتَّرجمة.
- الخطابُ الثَّقافي والعولمة

المُقدِّمة

إنّ ثنائيَّة الأصالة والمُعاصرة يمكن أن تنفكَّ إلى ثنائيَّات لا تنتهي؛ إذ يَفترضُ مفهومُ "الأصالةِ" هُويَّةً ذاتيَّةً تمتدُّ في الماضي مُوغلة فيه، وهي الثَّقافة بأبعادها الثَّلاثة: الدِّين، والفُنون والآداب، والأعراف والتَّقاليد، أمّا جانبُ المُعاصرة، فيرتبطُ ارتباطًا وثيقًا ببُعد "العلم" الذي فرضه عصرُ النَّهضة وما بعدها، وهكذا تتحوَّل ثنائيةُ: الأصالةِ/ المُعاصرة إلى ثنائيَّة أخرى هي ثنائيَّةُ: الثَّقافة/ العِلم، وإذا كانت هُويّتنا التَّاريخيَّة تتحدَّد بالأصالة

* جامعة حائل – كلية الآداب والفنون – قسم اللغة العربية.

(الثَّقافة)، فإنَّ نهضَتنا وتقدُّمَنا لن يتحقَّقا إلا بإضافةِ جانب المُعاصرة (العلم) إليها؛ الأمر الذي يُولِّد تراكمًا كمّيًا يُؤدي إلى ازدواج الوعي بين دور العقل ولُغة الجسد؛ إذ يحيا العقلُ مُرتبطًا بالقيم والأعراف والتَّقاليد الموروثة، بينما يحيا الجسدُ مُتمتِّعًا بكل ما أنتجه العلم، وفي الوقت نفسه تتحرك مشاعره وعواطفه ورغباته؛ وفقًا للموروث الثَّقافي، وعندئذ يتعارض الجانبان الأصالة (الثَّقافة)، والمُعاصرة (العلم)، فينشأ اللاوعي الثَّقافي في عمليات التَّكييف بين الأصالة والمُعاصرة[1].

وتسعى القراءة الرَّاهنة إلى النَّظر في التَّحدِّيات الثَّقافيَّة التي تواجه اللُّغة في خطاباتها وانتشارها، واستعمالاتها داخل البلاد العربيَّة وخارجها، بين أصالة تُراث الأمَّة عبر القرون الماضية؛ حيث العلاقة وثيقة بين اللُّغة وبين حياة أصحابها، وبين هيمنة العولمة الثَّقافيَّة على اللُّغة في المُمارسات التَّعبيريَّة والخطابات الشَّائعة في وسائل الإعلام بأشكالها المُختلفة بعد التَّطور العلمي الذي تحوَّل فيه المُثقَّف العربيّ إلى مُثقَّفٍ تَقَني.

وقد كان من الطَّبيعي أن تُنافسَ ثورةُ الاتصالاتِ اليوم الثَّقافةَ التَّقليديَّة وأدواتِها من كُتب ومجلاَّت وأساليب اللِّقاء والمسرح والسّينما؛ إذ هيمنت أجهزة تقانة المعلومات على ميادين الثَّقافة الجماهيريَّة لسُرعتها في نقل المُنتجات الثَّقافيَّة، فأصبحت قادرة على تفريغ الثَّقافة من مُحتواها القيمي الإنساني، في إطار التَّسهيلات التّقنيَّة للمعلومات ومُعالجة النُّصوص، وتكنولوجيا النَّص وغيرها.

مفهوم الثقافة

تنتمي كلمةُ (الثَّقافة) إلى جملة من الدّلالاتِ، ولعلّ أقربَها إلى التَّناول ما تذكرُه المعاجمُ، على نحو يُشير إلى الدّلالات الآتية:

- رياضةُ الملكات البشريَّة بحيث تُصبح أتمَّ نشاطًا واستعدادًا للإنجاز.

[1]. ينظر: زيعور، علي: **اللاوعي الثَّقافي ولُغة الجسد والتَّواصل غير اللَّفظي في الذاَّت العربيَّة**، بيروت: دار الطليعة، 1991م، ص49. وأبو زيد، نصر حامد: **الخطاب والتَّأويل**، الدَّار البيضاء: المركز الثَّقافي العربي، 2000م، ص70-75.

- ترقيةُ العقل والأخلاق وتنميةُ الذَّوق السَّليم في الآداب والفُنون الجميلة.
- إحدى مراحل التَّقدُّم في حضارةٍ ما.
- السِّمات المُميزة لإحدى مراحل التَّقدم في حضارة من الحضارات[1].

إنَّ المعاجم اللُّغويَّة توضِّح المُعارضات والتَّعديلات على المُصطلح؛ كاستعمال مُصطلح الثَّقافة المُضادَّة Anticulture، ويُطلق على أي تغيير ثقافي يُحاول أن يحلّ محل الثَّقافة التقليديَّة بمعناها المألوف، أو مُصطلح الثَّقافتين The two cultures، أو ازدواجيَّة الثَّقافة: الإنسانيَّة والعلميَّة.

فقد شهدت الثَّقافةُ العربيَّة منذ نهضتها المُعتبرة في نهايات القرن التَّاسع عشر صراعًا طاحنًا للتَّقليد القومي مع التَّقليد الغربي، وانبثقت عن هذا الصّراع ضغوطات مروّعة للوجدان العربي، فلا يَخفى أن الخطاب الثَّقافي أصبح مبتورَ الجذور، فاقدًا لمقومات الهويَّة، لا يُفلح في خطاب قومي فاعل[2]؛ إذ أظهر الفكرُ العربيُّ مخاوفَه من الغرب عمومًا، منذ اتّصاله معه في القرن التَّاسع عشر، وتضاعفت هذه المخاوف مع تعدُّد أشكال مُعوِّقات وعي الذَّات من الاستعمار إلى التَّبعيَّة إلى العولمة، ما شكّل قلقلًا تجاه التَّنمية الثَّقافيَّة والخطاب الثَّقافي.

والثَّقافة العربيَّة ما هي إلا مقوِّم أساسي من مقوِّمات الشَّخصيَّة العربيَّة وعُنصر أساسي كذلك في وحدة الأمَّة العربيَّة، وإنّ التَّفاعل الثَّقافي العربي يُؤدّي على المُستوى العَمَلي إلى إبطال حُجَّة من يرى في الوطن العربي ثقافاتٍ متباينةٍ متعدِّدة، ما هي في الأصل إلا تبعات لتيَّار ثقافي واحد.

---

1. مجدي وهبة وكامل المهندس: **مُعجم المُصطلحات العربيَّة**، بيروت: مكتبة لبنان، 1984م، ص129.
2. أبو هيف، عبد الله: **الثَّقافة العربيَة وتحدّيات العصر**، الرّياض: مؤسَّسة اليمامة، 2005م، ص19.

أصالة تراث الأمَّة العربيَّة في لُغتها وهُويَّتها.

لا شـكَّ أنّ الصِّـفةَ الغالبةَ للُّغةِ أنَّها وسـيلةُ تخاطبٍ جماعيّةٍ تُسـتعملُ في معرض العلاقات الإنسـانيَّة، وإذا كانت اللُّغةُ عند الأُممِ وسـيلةً للتَّعبير عن الأغراض والأفكار، فإنَّها بالنِّسـبة إلينا - نحنُ العربَ - دعامةُ وحدتِنا، ومظهرٌ للوحدة التي أوجدها الإسـلام بين العرب من المُحيط إلى الخليج.

وكان نزول القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين، وآياته البيِّنات المُعجزات، من أسباب وحدةِ هذه الأمَّة التي ارتبطت فيه العقيدة، والمنهج، والسُّـلوك باللُّغة ارتباطًا وثيقًا، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٤]

وكان الوعي اللُّغوي والأدبي عند أبناء الأمَّة من أسـباب وَحْدة مشـاربهم وأذواقهم وتصـوُّراتهم للحياة وتجاوبهم مع الدِّين وقيمه وأخلاقه وأهدافه، وكان فقه العربيَّة، وإدراك جمالها في مفرداتها وتراكيبها وأساليبها أمرًا تفرضه العقيدة الإسلاميَّة، كما يفرضه الانتماء إلى هذه الأُمَّة حضارةً وولاء.

ولمّا نزل القرآن بالعربيَّة ضـمن لها من الوحدة والقوَّة والعزَّة ما أحياها أبدًا، فكان سـرَّ خلودها، وسبب صُمودها، فارتبطت بالإسلام ارتباطًا أبديًّا، يُحقِّق لها الخلود والرِّفعة، على مرّ العُصور.

والنَّاظر في اللُّغة العربيَّة في وضـعها المُحكم، وتنسـيقها الدَّقيق، يجدها منظومة كُبرى تضـمُّ عددًا من الأنظمة الصُّـغرى؛ إذ إنَّ لها نظامها الصَّـوتي الثَّابت، ونظامها النَّحوي الدَّقيق، ونظامها الصَّرفي المُحكم.

وإنّ اكتفاءَ العربِ القدماءِ بلُغتهم العربيَّة في شبه جزيرتهم، وعدمَ اختلاطِهم بغيرهم من الأُمم والشُّعوب في السَّابق، سلَّم لُغتهم من التَّغيير، وحَفِظها من اللَّحنِ في بادئ أمرها [1].

[1] ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد: **مُقدمة ابن خلدون**، بيروت: دار القلم، ط5، 1984م، ص379.

ومنذ بداية الوعي القومي في الأقطار العربيَّة، كان البُعد الإسـلامي هو جوهر الانتماء في الخطاب القومي؛ إذ لا قيمة لعُروبة دون إسـلام، وهو ثُلاثي مُقدَّس، فثُلاثيَّة الخطاب القومي في الأقطار العربيَّة، وهي: الأرض: وطنًا، والعربيَّة: لغةً، والإسـلام: دينًا، حافظت على بقاء العقيدة الإسلاميَّة جوهر الانتماء الحضاري، وجعلت للأمَّة هُويَّة واضحة المعالم، ذات أثر وتأثير محلِّيًّا وعالميًّا.

وإنّ للُّغة العربيَّة دورًا فاعلًا في الحفاظ على الهُويَّة العربيَّة، ووحدة الأمَّة ماضـيًا وحاضـرًا ومُسـتقبلًا، وأنَّها وسـيلة التَّواصـلِ والاتِّصـال بين أبنائها بوصـفها أسـاس القوميَّة العربيَّة، وعنوان الشَّـخصـيَّة العربيَّة وذاتيَّتها الثَّقافيَّة، وسـبيل الأمة للتَّوجُّه نحو مجتمع المعرفة والتَّطوُّر الاقتصـادي والثَّقافي، فمن الضَّـروري أن تتوجَّه المُؤسَّسـات التَّربويَّة والثَّقافيَّة والعلميَّة إلى الحفاظ عليها وتعليمها، في ظلّ تحدِّيات العولمة والغزو الثَّقافي، التي مهَّدت لعربيَّةٍ مولَّدةٍ جديدةٍ، دارجة في الأوسـاط المُثقَّفة، والخطابات المُختلفة؛ فالتَّحدِّي يكون في خلق التَّوازن بين هُويَّة الأمَّة وضـرورة التَّغيير والتَّواصـل الثَّقافي، بين الأصـالة والتَّجديد، والمُحافظة على المُحتويات الثَّقافيَّة للُّغة العربيَّة في ظُروف العولمة الثَّقافيَّة واللُّغويَّة.

مفهوم الخطاب

إنّ نظريَّات اللِّسانيَّات الحديثة، وإن كانت متعدِّدة، ترى في الخطاب: وحداتٍ ذاتَ سياقات تلفُّظيَّة خاصَّة بها؛ أي أنَّ كل تلفُّظ لا ينفصلُ عن سياقه المُنجز فيه؛ "لأن الملفوظ مُنظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغال في التَّواصل"[1]. ولقد حَدَّ "بنفنست" الخطاب بمعناه الأكثر اتساعًا، بأنه: "كلّ تلفُّظ يَفرض متكلمًا ومستمعًا، وعند الأول هدف التَّأثير على الثَّاني بطريقة ما"[2].

1. يقطين، سعيد: **تحليل الخطاب الرّوائي**، الدَّار البيضاء: المركز الثَّقافي، ط3، 1997، ص19.

2. السابق: الصفحة نفسها.

وقد ظهرت الوضعيَّة في أبعاد الخطاب عند علماء اللِّسانيات، وخصوصًا في أعمال "أوستين" و"سورل" و"كرايس" الذين اجتهدوا في تأسيس نظريَّة الأفعال الكلاميَّة، وإنتاج الكلام وتأويله، بما يوضِّح مقصديَّته؛ فمقصديَّةُ المُتكلِّم: هي العِلَّةُ في توجيه الخطاب، وفي جعله يَصطبِغُ بلون مُعيَّن، وهكذا فإنَّ الخطابَ يتحوَّلُ من حال إلى حال تبعًا لمقصديَّة المُتكلِّم.

وعليه، يجب أن يمتلك المُتكلِّمُ عددًا من الكفايات لإيصال الوظيفة المُرادة من الخطاب، وهي:

- **الكفاية التَّواصُليَّة**: تعني "قُدرة المُتكلِّم على معرفة متى وكيف يستعمل اللُّغة، ومعرفة ما يجب قوله في ظروف مُعيَّنة، ومتى يجب عليه السُّكوت، ومتى يجب عليه الكلام، إنَّها المعارف التي تزداد على الكفاية اللُّغويَّة الصَّرفة المُتمثِّلة في إغناء الرَّصيد المُعجمي عند مستعملي اللُّغة وتُمكِّنه من قواعد لُغته، والسَّيطرة على المعاني ووُضوح خطابه"[1].
- **الكفاية اللُّغويَّة**: هي إحدى المُصطلحات التي وضعها "تشومسكي"، وتعني: "معرفة المُتكلِّم - السَّامع بلُغته"[2]؛ فالمُتكلِّم يجب أن يكون مُلمًّا بلُغته من حيث القواعد النَّحويَّة في تركيب الجُمل، وصياغتها صياغةً سليمةً، إذ إن الكفاية اللُّغويَّة هي: المعرفة المُتطلِّبة لتركيب الجُمل الصَّحيحة وفهمها[3]، فالكفاية اللُّغويَّة عند "تشومسكي" تقوم على الجانب النَّحوي فقط، ولكن "ديل هايمز" استبدل مُصطلح الكفاية الاتِّصاليَّة بالكفاية اللُّغويَّة، وعرَّفها بأنها: "مقدرة المُتكلِّم على إنتاج مَنطوقات مُناسبة لأنماط المواقف الاتِّصالية المُختلفة، لا جمل نحويَّة"[4]، وبذلك تقدم "هايمز" في تحديد مفهوم الكفاية

---

1. الشهري، عبد الهادي: **استراتيجيات الخطاب، مُقاربة تداوليَّة**، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م، ص56.
2. تشومسكي، نعوم: **جوانب من نظريَّة النَّحو**. ترجمة: باقر، مرتضى جواد، جامعة البصرة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص28.
3. علي، محمد محمد يونس: **المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدّلالة في العربيَّة**. دار المدار الإسلامي، ط2، 2007م، ص148.
4. العبد، محمد: **النَّص والخطاب والاتِّصال**، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2005م، ص49.

اللُّغويَّة على "تشومسكي"؛ إذ إنَّ الكفاية اللُّغويَّة عند "تشومسكي" تعتمد على الجانب النَّحوي في اللُّغة، بينما تعتمد على الوظيفة الأساسيَّة التي تقوم بها اللُّغة عند "هايمز" ، وهي: وظيفة الاتِّصال؛ أي التَّواصل بين المُتكلِّم والمُستقبِل.

فالكفاية الاتِّصاليَّة عند "هايمز" لا تقتصر على كفاية الاستخدام اللُّغوي، بل يُضاف إليها معرفة سياق الحال للأحداث اللُّغويَّة؛ إذ "لا تنهض بعمليَّة التَّواصل القُدرة اللُّغويَّة الصَّرف وحدها، بل تُسهم فيها قُدرات أخرى (منطقيَّة، ومعرفيَّة، واجتماعيَّة، وإدراكيَّة، وغيرها)، فمُستعمِل اللُّغة الطبيعيَّة يستخدم أثناء عمليَّة التَّواصل، بالإضافة إلى ملكته اللُّغويَّة، مَلَكات طبيعيَّة غير لُغويَّة، تُسهم في إنجاح هذه العمليَّة"[1].

ووُصول الخطاب الثَّقافي سليمًا إلى ذهن المُتلقي المُثقَّف - خاصَّة - يعتمد على سعة معرفته وقُدرته على التَّرجيح والتَّوفيق بين التَّقاليد السَّائدة للسَّلَف، وروابط الثَّقافة القوميَّة من جانب، وبين إشكالية التُّراث في الوعي المُعاصر من جانب آخر.

الخطاب الثَّقافي والتّقانة

تعدّدت أشكال الخطابات الثَّقافيَّة في ظلّ ما يمكن أن نطلق عليه (الهيمنة الاتِّصاليَّة)، إذ تبرز الهيمنة في مجال الاتّصال بأشكالٍ ومظاهرَ عديدة، ولا تقتصر على البُعد الإعلامي فحسب، بل تشمل أبعادًا أخرى، منها: الإعلان، والأفلام، والبرامج المُستوردة، وكذلك تقنية الاتِّصال التي أوجدها التحدِّي العلمي والتَّقني الحديث، بالإضافة إلى التَّرجمة.

وهذه السَّيطرة في **مجال التَّقنيَّة والمعلومات** التي مارستها الدُّول الغربيَّة، عُرِفت بأسماء مُختلفة، منها: الغزو الثَّقافي، والهيمنة الثَّقافية، والهيمنة الإعلاميَّة، ما حوَّل اتجاه الخطابات الثَّقافيَّة لخلق أزمة في الثَّقافة العربيَّة بين مُرسل الخطاب ومُتلقِّيه، بتفاعل عدد من المُتغيِّرات الدَّاخليَّة التي تُؤثِّر في شكل الخطاب، مثل: النُّظم السّياسيَّة والاجتماعيَّة، والتَّقاليد الثَّقافيَّة، والبناء الاقتصادي، والهُوَّة بين المُثقَّف والأُمّي، والتَّبعيَّة بمظاهرها المُختلفة، وترويج الأفكار والرُّؤى.

1. العبد، **محمد: النَّص والخطاب والاتِّصال**، ص19.

وإنّ مُعالجة الخطابات الثَّقافيَّة حاسوبيًا اليوم، أصبح أمرًا لا مفرَّ منه، ولا حَيْدَة عنه، في جميع المجالات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والتَّعليميَّة، وأهمها المجال اللُّغوي التَّعليمي في اللُّغة العربيَّة نفسها، بما يضيف جديدًا للاتّجاه الحاسوبي في دراسة اللُّغة، ومُعالجتها، كصناعة مُعجم موحّد لمُصطلحات اللِّسانيَّات الحاسوبيَّة بالعربيَّة والإنجليزيَّة، وتصويب الأخطاء النَّحويَّة والصَّرفيَّة والإملائية آليًا، وتعليم العربيَّة لأبنائها، وغير أبنائها بواسطة الحاسوب.

أمّا بالنّسبة لتقنية الإنترنت، فقد خرقت جميع الحواجز الثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والسّياسيَّة بين دول العالم المُختلفة، وأصبحت وسطًا إعلاميًا تواصليًا جديدًا، فهي توفّرُ المعلومات بأنواعها المُختلفة لكلّ مَنْ يصل إليها بغض النَّظر عن جنسه أو لُغته أو عمره، أو مكانته المهنيَّة أو الاجتماعيَّة. وهذا المُحتوى (الإنترنت) متنوّعٌ في موضوعاته واتّجاهاته بمدى تنوُّع الثَّقافات والحضارات.

ويمكن النَّظر إلى علاقة اللُّغة بالشَّبكة من أكثر من زاوية، ترتبط في معظمها بحقيقة واحدة: كون تقنيات الحوسبة والتَّشبيك أُعدَّت أصلا للُغةٍ واحدةٍ هي اللُّغةُ الإنجليزيَّةُ، ومن المُؤسف أنَّ المُحتوى ذا العلاقة بالعربيَّة شبه غائب، ونظرا لما للثَّقافة الإسلاميَّة من خُصوصيات، فقد ظهرت المشكلة في قرار إدخال الإنترنت إلى أي بلد عربي أو إسلامي، في فشل حجب بعض المواقع كليًّا أو مُراقبتها.

الخطاب الثَّقافي والتَّرجمة

من جنايات التَّرجمة على الثَّقافة العربيَّة، بقاء بعض المُصطلحات مُعلَّقة بين لُغتين، من مثل إدخال بعض المُصطلحات الأجنبيَّة بصورتها الأجنبيَّة التي وردت عليها في لُغتها الأم، وكتابتها بحروف عربيَّة، وظهرت مثل هذه الصورة مع بدايات العمل اللُّغوي الحديث، وظهرت نتيجةً لذلك مُصطلحاتٌ يصعب قبولها في العربيَّة، نحو مُصطلح: "سيركومفلكس" وفي أسماء الأجهزة مثل:"الكيموغراف" أو أسماء العُلماء، مثل: "برجشتراسر" و "بروكلمان"، أو ترجمة جزء من التَّركيب المكوّن للمُصطلح، واقتراض جزء منه، نحو اختيار مُصطلح

وحدات فونيماتيَّة في مُقابل (Phonematic Units)، أو اختيار مُقابلات عربيَّة للمُصطلحات الأجنبيَّة، وكتابة المُصطلحات الأجنبيَّة إزاءها بحروف عربيَّة، كأن نقول في حديثنا عن أحد فروع علم اللُّغة: الفونيتيك (Phonetique) أو دراسة الأصوات[1]؛ إذ من الواجب عدم التَّنكُّر للُّغة العربيَّة في صدد التَّواصل مع الحضارات الأخرى، أو اقتراض مُصطلحاتها.

الخطاب الثَّقافي والعولمة

تعدَّدت تعريفاتُ "الثَّقافة" عند الدَّارسين، وتصبُّ في مجملها: في المعارف التي تتعامل مع الإنسان أو التي يكون موضوعها "الإنسان" بوصفه فردًا في جماعة، وهي وإن كانت من الوجهة النَّظريَّة "معارف" تُدوَّن وتُلقَّن أو تتداولها الأجيال، فإنَّها في حقيقتها سلوكٌ تؤدِّي فيها اللُّغةُ أو اللِّسانُ دورًا حاسمًا، وتتوازعها الأممُ والشُّعوب.

والعربيَّة ليست مجرَّد وعاء للثَّقافة أو التُّراث، بل هي أيضًا أسلوب تفكير، ووسيلة اتِّصال، واستمرار لوجود الأمَّة، تعكس القيم الجماعيَّة والفرديَّة من خلال تعابيرها ومُفرداتها. والعربيَّة تُعبِّر عن المُستوى الفكري والثَّقافي لأهلها، وهي التي ترسم إطار الهُوية العربيَّة، وعليه؛ فالعربيَّة لُغةُ الثَّقافة، والثَّقافةُ ليست أدبًا فحسب، بل تشمل حقول المعرفة، بما فيها العُلوم، ومن هنا كان لازمًا التَّدريس والبحث والكتابة في كافة الحُقول بالعربيَّة[2].

وقد امتدَّت اليوم أيدي الطَّامعين ليس فقط لاستنزاف موارد البلاد العربيَّة الاقتصاديَّة، وإنّما إلى استنزاف الفكر والمُفكِّرين، وتسخيرهم في متاهات الخلاف، لإذكاء نار الصّراعات بأشكالها المُختلفة، لطمس الشّخصيَّة الثّقافيَّة للأمَّة، وقيمها، والتَّحدُّث عن ثقافة واحدة، والتَّرويج لثقافة عالميَّة واحدة.

---

1. ينظر: الحيادرة، مصطفى. "مُصطلحاتنا اللُّغويَّة بين التَّعريب والتَّغريب." **مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني**، العدد: 69، 2005م، ص153-154.

2. ينظر: الدوري، عبد العزيز: **هويَّة الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة في مواجهة التَّحدّيات السّياسيَّة والثَّقافيَّة والحضاريَّة**، مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني: الموسم الثَّقافي العاشر، 1992م، ص99-100.

وتُعنى حركة "العولمة" بإسقاط الحواجز اللُّغويَّة كشرط أساسي لدمج بلدان العالم وثقافاته المُختلفة في كيان عولمي يتَّسم بالشَّفافيَّة اللُّغويَّة؛ لتنساب عن طريقها المعلومات، ويتفاعل من خلالها الأفراد والجماعات والمُؤسَّسات، ولأنَّ اللُّغة هي التي ترعى كل ناطق بها؛ فإنَّها تتطلبُ وضع استراتيجيَّات عربيَّة جديدة، يتعاون فيها مؤسسات التَّربية، وأجهزة الإعلام، والمُنظَّمات الثَّقافيَّة، والشَّاعر، والكاتب، والقارئ، والمُدرِّس، والطَّالب، والعامل، والنَّاشر، والمُؤلِّف...إلخ[1].

ففي ظل العولمة وثورة المعلومات تتعرَّض العربيَّة لحركة تهميش؛ لطغيان الإنجليزيَّة على الصَّعيد السِّياسي، والاقتصادي، والمعلوماتي، ومعنى ذلك هو تهميش الثَّقافة القوميَّة العربيَّة، وإيجاد لغة عالميَّة للاتِّصال والخطاب الدَّولي؛ طُغيان اللُّغة الإنجليزيَّة في التَّحاور الحضاري، والخطاب الثَّقافي، والتَّبادل التِّجاري الدَّولي.

ومن جهة أخرى، تتمثَّل الوجهة النَّيِّرة للعولمة في إيجاد أرضيَّة مُشتركة بين شعوب الكُرةِ الأرضيَّة، بقيام علاقات بينها تسمح بوجود قوانين عالميَّة تُنظِّمها للجميع، وللعولمة الثَّقافيَّة واللُّغويَّة ووسائلها آثار إيجابيَّة يَحسنُ استغلالها في نشر العربيَّة وتطويرها؛ إذ تمنح العولمةُ فرصةً كبيرة لإعداد اللُّغة العربيَّة، وجعلها تتناقل بين النَّاس في مُختلف دول العالم، ويتحقَّقُ هذا بتشجيع الأبحاث العلميَّة اللُّغويَّة العربيَّة، وتوجيهها لتكون دعاية لاستعمال هذه اللُّغة، ووسيلة لتيسير تعلُّمها وتعليمها[2].

وعلى أية حال، فإنَّ العربيَّة حتى الآن بمأمن من مخاطر العولمة؛ لأن الدِّراسات المُستقبليَّة تؤكِّد أنَّ اللُّغاتِ التي تسودُ العالمَ في عصر المعلومات هي ستُّ لُغات، منها العربيَّة، فما نحن فيه الآن من ثورة في المعلومات ما هو إلا "سوق مؤكَّد يحتاج للرَّبط

---

1. ينظر: علي، نبيل: **اللُّغة العربيَّة وتحدِّيات العولمة**، مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني: الموسم الثَّقافي التَّاسع عشر، 2001م، ص 78-81.

2. ينظر: عبد السلام، أحمد: **العولمة الثَّقافيَّة اللُّغويَّة وتبعاتها للُّغة العربيَّة**: مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني، العدد: 60، 2001م، ص129.

والالتحام بالهياكل الدَّوليَّة والبروتوكولات التَّقنيَّة لعصر المعلومات كأدوات البحث على الإنترنت، والتَّصحيح والتَّصنيف والفهرسة والتَّلخيص الآلي على الإنترنت، بالإضافة إلى التَّرجمة الآلية وأدوات الكلام الآلي، وهي أدوات لازمة، واللُّغات التي تتخلَّفُ عن تطويرها ستتخلَّفُ عن ركب العولمة، لا بمُؤامرة أو بقصد، وإنما بسبب الوهن الذي أبطأ اللَّحاقَ بركب العالم المُعاصر"[1].

ومن هنا يُصبحُ الحوارُ حولَ كيفية استثمار هذا الضَّيف/ العولمة والإنترنت، وكيف يُمكن تطويعه لخدمة قضايا الإنسان، وكيف يُصبح، عاملَ تثقيفٍ لا وسيلةَ تسطيحٍ، ليقرِّب بين الشُّعوب في جميع الميادين السّياسيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة واللُّغويَّة وغيرها، بدلًا من أن يكون عاملَ انغلاقٍ ومُخاصمةٍ ومُقاطعةٍ أو غربةً ثقافيَّة.

1. الشارخ، محمد: **مُستقبل اللُّغة العربيَّة أو العربيَّة في المُستقبل**، بيروت: جريدة السفير، العدد: 8392، 1991م، ص18. وينظر: أبو هيف، عبدالله: **الثَّقافة العربيَّة وتحدّيات العصر**، ص31.

الخاتمة

خلاصـــة القول، فإنّ التَّحدِّيات التي تُواجهها أُمَّتُنا العربيَّة والإســـلاميَّة في جميع مناحي الحياة، الثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصـــاديَّة، والفِكريَّة، هي تحدّيات تقتضـــي بالضَّـــرورة البحث في إعادة بناء الذَّات العربيَّة الإسـلاميَّة التي نسـعى لبنائها، وتحديد سـماتها، وتوطيد دعائم علاقاتها بالشُّـــعوب الإســـلاميَّة، واطّلاعها الإنســـاني على كلّ ما هو حق وخير وعدل، ولن يتمَّ ذلك إلّا بتوطيد دعائم حريَّة الفكر واحترام حقوق الإنســـان؛ لكي يســـتطيع المفكِّر العربي أن يُبدعَ، وأن يُضـــيفَ إضـــافاتٍ أصـــيلة وجديدة إلى فكر الأُمَّة العربيَّة الإســـلاميَّة وثقافاتها ومُنجزاتها الحضـــاريَّة، ومن أجل اســـتعادة أُمَّتنا دورهَا الحضـــاري في بناء حضـــارة إنسانيَّة مُتقدِّمة ومُزدهرة.

وإنّ التَّكاملَ العربي في ميادين التَّنمية الثَّقافيَّة، من شأنه أن يضمن التَّخطيط النَّاجح، والتَّمويل الرَّشيد لمُستلزمات إسهام التَّربية في التَّنمية الثَّقافيَّة.

فالعربيَّة في الوقت الحاضـر، تُشـكّلُ العُنصـرَ الرئيس الذي ما زال يجمعُ الدُّول العربيَّة، وهي أهم مُقومات الهُويَّة العربيَّة، التي سخّرها - سبحانه وتعالى - لحفظ كتابه العزيز ولُغته العربيَّة، ولا شـــكَّ أنَّ للُغةِ التَّخاطب تأثيرها القوي، بما تتمتَّعُ به: من نفاذ، وأداء، وسَـــعة انتشار، وتلقائيَّة، ومُزاحمة للُّغةِ الفُصحى في وسائل الإعلام.

المراجع

تشومسكي، نعوم. **جوانب من نظريَّة النَّحو**. ترجمة: باقر، مرتضى جواد، جامعة البصرة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د.ت.

الحيادرة، مصطفى. **مصطلحاتنا اللُّغويَّة بين التَّعريب والتَّغريب**: مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني، العدد: 69، 2005م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون**. ط5. بيروت: دار القلم، 1984م.

الدوري، عبد العزيز. **هويّة الأمّة العربية الإسلاميّة في مواجهة التحديات السياسية والثقافيّة والحضارية**. مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني، الموسم الثَّقافي العاشر، 1992م.

أبو زيد، نصر حامد. **الخطاب والتَّأويل**. الدَّار البيضاء: المركز الثَّقافي العربي، 2000م.

زيعور، علي. **اللاوعي الثَّقافي ولُغة الجسد والتَّواصل غير اللَّفظي في الذَّات العربيَّة**. بيروت: دار الطليعة، 1991م.

الشارخ، محمد. **مُستقبل اللُّغة العربيَّة أو العربيَّة في المُستقبل**. بيروت: جريدة السفير، العدد 8392، 1991م.

الشهري، عبد الهادي. **استراتيجيات الخطاب: مُقاربة تداوليَّة**. بيروت: دار الكتاب الجديد المتَّحدة، 2004م.

عبد السلام، أحمد. **العولمة الثَّقافيَّة اللُّغويَّة وتبعاتها للُّغة العربيَّة**، مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني، العدد: 60 ، 2001م.

العبد، محمد. **النَّص والخطاب والاتّصال**. القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2005م.

علي، محمد محمد يونس. **المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدَّلالة في العربيَّة**. ط2. د.م: دار المدار الإسلامي، 2007.

علي، نبيل. **اللُّغة العربيَّة وتحدّيات العولمة**. مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني، الموسم الثَّقافي التاسع عشر، 2001م.

مجدي وهبة وكامل المهندس. **مُعجم المُصطلحات العربيَّة**. بيروت: مكتبة لبنان، 1984م.

أبو هيف، عبد الله. **الثَّقافة العربيَّة وتحدّيات العصر**. الرياض: مؤسسة اليمامة، 2005م.

يقطين، سعيد. **تحليل الخطاب الرّوائي**. ط3. الدار البيضاء: المركز الثَّقافي، 1997م.